الآثار الاجتماعية والاقتصادية لصناعة النسيج في مصر خلال العصر الفاطمي

أ. م. د. حازم وطن هندي

كلية التربية إبن رشد / جامعة بغداد

الملخص

تعد صناعة النسيج في العصر الفاطمي من الصناعات المهمة لما تؤديه من دور اقتصادي هام فضلاً عن كونها ترتبط بشكل وثيق في السلم الاجتماعي في العصر الفاطمي لكون النسيج والنساجون معنيين بصناعة انواع خاصة من الملابس لكل طبقة من طبقات المجتمع يتراوح شراؤها بين ابناء الطبقات حسب الامكانية المادية او السياسية، وفي اوقات كثيرة في زمن الخلافة الفاطمية لا سيما في عصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله كان يأمر بتمييز ملابس كل ديانة لا سيما اليهود والنصارى وهذه المهمة تقع على عاتق النساجون مما يجعل دورهم الاجتماعي مهم جداً فضلا عن تكفل النساجون في تلك المرحلة بنسج كسوة الكعبة المشرفة التي تستبدل سنوياً .

The social and economic effects of the textile industry in Egypt during the Fatimi period

Prof. Assist. Dr. Hazem Waten Hindi

College of Education Ibn Rushd / University of Baghdad

Abstract

The textile industry in the Fatimid era was an important industry due to its economic roleimportant as well as being closely linked in the social hierarchy of the Fatimid era to the universe of weaving. Weavers are concerned with making special types of garments for every class of society that has a certain spirit among the sons of the classes according to material or political possibility, and at many times during the time of the Fatimid Caliphate, especially in the era of the Fatimid Caliph Al-Hakim bi-Amr Allah, he used to order that the clothes of each religion be distinguished, especially Jews and Christians, and this task falls on the shoulders of the weavers, which makes their social role very important in addition to that, weavers took care of weaving the covering of the Holy Kaaba, which is replaced annually.

اولاً / الآثار الأجتماعية

لقد شارك الرجال والنساء على السواء في صناعة النسيج[١] مما ساهم في حياتهم الاقتصادية. كما استفاد الافراد من صناعة النسيج في التجارة حيث كانت هناك أسواق متخصصة في بيع الملابس الجديدة التي أنتجتها مصانع النسيج وكذلك الملابس القديمة[٢] وتباع فيها كذلك الخلع التي يهديها الخلفاء لمن أرادوا تكريمهم[٣]، وكانت هناك سوق تسمى **سقيفة القطانين** بالفسطاط متخصصة في بيع الملابس القطنية، ووجدت بالمدينة مخازن كبيرة للقطن صنعت منها القمصان التي كانت تخلط بالكتان والصوف والحرير كذلك صنعت العمائم من الكتان، وكان العامة يزدحمون في تلك السوق لشراء الملابس القطنية[٤].

وكانت دكاكين البزازين بالفسطاط مملوءة بالملابس المذهبة والمقصبة بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس[٥]، وأختص **سوق المفصلين** بخياطة وتفصيل الثياب[٦].

واشتهرت أيضاً الفسطاط **بسوق الغزل** اللازم لصناعة النسيج والأقمشة[٧]. وكان غزل الكتان والأصواف والحرير رائجاً بالفسطاط فقد ضمت هذه المدينة دارين لطراز الخاصة والعامة، وكانت تحصل تلك الدور على حاجتها من الغزل من ذلك السوق، وكان السماسرة ينزلون إلى السوق يشترون هذه الخيوط من التجار[٨].

ومن الأسواق المتخصصة في بيع الملابس المستعملة **سوق الخلعيين**، وكان له الكثير من الزبائن والرواد وكان لا يباع فيه إلا الملابس القديمة فقط[٩]، وبيع فيه أيضاً الخلع التي يهديها الخلفاء إلى الأهالي حتى يضمنوا ولاءهم [١٠].

وكان هناك اهتمام بأصحاب الصناعات والحرف، فكانت تقام في العصر الفاطمي تجمعات كبيرة لأرباب الحرف المختلفة. وكان في القصر الفاطمي عدد كبير من أرباب الصنائع المختلفة، فيروي ناصر خسرو أنه شاهد في الفسطاط رباطاً ضخماً في الدور الأسفل فيه يجلس الخياطون، وفي الأعلى الرفاءون[١١].

وقد كانت ظروف الأزمات والمجاعات تضطر العامة إلى بيع الملابس المستعملة التي تخص رجال الدولة حين تنهب منازلهم وقصورهم، فقد عُرضت بهذه السوق الكثير من ملابس ومنسوجات القصور التي نُهبت خلال الشدة المستنصرية[١٢].

وإن تنوع الملابس والاهتمام بها من قبل أفراد الشعب يعكس الأثر الكبير الذي تركته صناعة النسيج على حياة الشعب المصري في العصر الفاطمي، فملابس العامة تعكس مستوى التطور الحضاري للدولة فهي تلقي الضوء على مستوى الحياة الاقتصادية التي عاشها الناس في تلك الفترة، وذلك من خلال الأقمشة المستعملة(١٣).

واهتم العامة في الدولة الفاطمية بالملابس اهتماماً بالغاً مما يدل على وجود وفرة من الملابس وخاماتها التي تنتجها مصانع النسيج الفاطمي. ومن خطاب مؤرخ في القرن الرابع الهجري أرسله أحد الأشخاص إلى صديق له يطلب منه شراء ثوب خفيف واسع العرض من تسعة أشبار، وطلب منه أن يكون خفيفاً مليحاً مطرزاً باللون الأسود أو الأحمر طراز رقيق شطوي(١٤)، مما يدل على ذوق فني رفيع تمتع به العامة في ملابسهم وكانوا يتأنقون ويبدعون في اختيار ملابسهم وهذا بالطبع للميسورين منهم(١٥).

ومما يدل على انعكاس صناعة النسيج وعائداتها على الحياة الاجتماعية هو تقليد العامة للطبقات المترفة في الاعتناء بارتداء ملابسهم والاهتمام بالأنواع الراقية منها، وكانوا يعتنون بأن تكون خالية من أي عيوب في التفصيل فتكون معتدلة الأكمام والأطراف، وتكون ذيولها مستوية(١٦)، كما فضلوا الأقمشة ذات النقوش المختلفة على أن تكون أكتافها مزينة بالأشرطة المزخرفة(١٧)واعتنوا بملابسهم عناية خاصة في الأعياد والمواسم كما أقبلوا على شراء الجديد منها لهم ولأسرهم، أما الفقراء منهم فكانوا يضطرون إلى تأجير الثياب في تلك المناسبات(١٨).

وكانت الدولة الفاطمية تنتهز مناسبة المواكب الرسمية، لتقوم بإلباس جميع طبقات رجالها المدنيين والحربيين ثياباً فاخرة، صنعت في دار الكسوات بالقصر، أو في المناسج المسماة (طراز) المنتشرة في أرجاء الدولة، فكانت هذه الملابس تتميز عن بقية أفراد الشعب، ويدل ذلك على ما وصلت إليه الدولة من غناء وثراء(١٩).

وفيما يخص الخليفة فكانت ملابسه تختلف باختلاف المناسبة التي يرتديها فيها، وكانت ملابسه التي يرتديها في القصر تغاير ما يرتديه في المواكب الرسمية، فيلبس على رأسه عمامة تتكون من ثلاثة قطع(٢٠)، وباقي ملابس الخليفة تتكون من ثوبين أحدها حريري مزين برسوم مذهبة، والآخر من الحرير الدبيقي وسطاني وبعدها قميص حرير(٢١).

ولا تختلف هذه الملابس عما كان يرتديه الخليفة في المواكب الأخرى إلا في الألوان التي تميزها أو عدد القطع التي تتكون منها. فكان يرتدي في كل مناسبة لباساً خاصاً يتناسب معها سواء في اللون أو الشكل(٢٢).

وقد اختلف الخلفاء الفاطميون في الملابس التي يرتدونها، فكان الخليفة العزيز يرتدي ثوباً يشبه الجبة مفتوح من الأمام ومزين بأزرار حول الصدر وبأكمام قصيرة تمتد حتى المرفق، ويبلغ حتى منتصف الساق وأحيانا أقل انخفاضاً، ولا يقصر عن الركبة، وفي الغالب تكون من الحرير أو القطيفة(٢٣)، وحول وسطه الحزام(٢٤).

ويعرف عن الخليفة الحاكم زهده، فكان لبسه الصوف على ظاهر جسده رغم خشونته، ويرتدي الملابس ذات اللون الأسود ويكثر من الخروج مكتفياً في ملابسه بالدراعة والعمامة(٢٥)، وفي موكب عيد الفطر سنة (٣٩٥هـ /١٠٠٤م) لم يرتد الخليفة الحاكم الملابس التي أعتاد الخلفاء لبسها في مثل هذه المناسبة، بل كان يرتدي ثوباً أصفر وعلى رأسه عمامة تحنك بطرفها(٢٦).

وفي داخل القصر كان يرتدي ملابس بسيطة تسمى الملابس الدارية وهي تختلف عن التي يظهر بها أمام الناس في المواكب(٢٧)، وتتميز بقصر أكمامها وضيقها(٢٨)، ويكتفي بلبس الثوب والعمامة، وينتقل الخليفة بهذه الملابس بين القصرين وتصاحبه المظلة التي في الغالب تكون من لون الملابس التي يرتديها(٢٩).

وتميز الوزراء في ملابسهم في العصر الفاطمي الأول بارتداء عمامة كبيرة تحتوي على أكثر من طبقة، وينتهي طرفها ليدور حول الحنك، مع إرخاء طرف العمامة على الظهر تمييزاً للوزير عن سواه من أرباب السيوف والأقلام، ولا يسمح لغير الوزير بإرخاء العمامة وخاصة في المواكب الرسمية غير الخليفة(٣٠).

وكانوا يلبسون الدراعة أو الجبة(٣١)وهي رداء قصير لا يصل إلى الركبتين مشقوقة من الرقبة إلى أسفل الصدر وكانت تزين بعرى وأزرار غالباً ما تصنع من الأحجار الكريمة، وكانت هذه الملابس علامة الوزراء التي تميزهم عن أصحاب الأقلام(٣٢).

وفي العصر الفاطمي الثاني جاءت إضافة جديدة على لبس الوزير، وهي أن يرتدي الوزير الطيلسان، وهو الذي يتميز به القضاة، لأن الوزير أصبح يجمع بين الوزارة والقضاء، كما

أنه إشارة إلى أنه كبير أرباب السيوف والأقلام[٣٣]، وقد استمرت ملابس الوزراء على هذا الشكل حتى نهاية الدولة الفاطمية[٣٤].

وبالنسبة لكبار رجال الدولة من الأمراء فكان يميز ملابسهم الفخامة والثراء، فيلبسون بدلة مذهبة وعمائم من القصب المطرز بالذهب وتبلغ قيمة العمامة خمسمائة دينار[٣٥].

بينما تختلف ملابس موظفي القصر وأرباب الرتب في الدولة ما بين بدلة حرير وبدلة مذهبة، ويختلف كذلك عدد القطع من شخص لآخر حسب أهمية وظيفته أو مكانته في الحاشية، ولكنها في الغالب تشتمل على الأجزاء الأساسية للملابس في هذا العصر وهي القميص والسروال[٣٦].

وكانت طبقة الخدم وحاشية القصر يتميز منها الاستاذون المحنكون بارتداء البدل المذهبة ويلفون العمائم حول أحناكهم، وكان غير المحنكين منهم يرتدون البدل الحرير[٣٧].

وكان صبيان الركاب الذين يحيطون بالخليفة يلبسون العمائم الكبيرة ويشدون أوساطهم بالأحزمة، ويذكر ناصر خسرو أنه كان يسير أمام الخليفة المستنصر في فتح الخليج رجال من الديلم ((عليهم ثياب رومية مذهبة، وقد حزموا خصورهم، وأكمامهم واسعة كما يلبس رجال مصر))[٣٨].

وتميز الفقهاء ورجال الدين في العصر الفاطمي بملابس تميزهم عن فئات المجتمع[٣٩]، ومن أهم ملابسهم العمامة وكان الاحتفاظ بها على الرأس مظهراًَ اجتماعياً يعطي لابسها الاحترام والتقدير[٤٠]، وكان حجم العمامة يعبر عن مكانة لابسها بين أرباب العمائم في الدولة، لذلك كان رجال الدين غالباً ما يبالغون في تضخيم حجم العمامة[٤١]، وكانت عمامة القاضي ذات الحجم الكبير تعتبر تكريماً له عن سائر أرباب العمائم في الدولة، وكان التصريح بلبس عمامة على شكل عمامة القاضي يعد تشريفاً كبيراً للشخص المسموح له بذلك، فعندما عين والي الشرطة بمصر سنة (٤١٥هـ /١٠٢٤م) كانت بين خلعه عمامة قاضي مذهبة[٤٢].

ويرتدي المحتسب في العصر الفاطمي جبة وعمامة مذهبة[٤٣]. وكانت ملابس خطباء المساجد ورجال الدين والفقهاء تتكون من الجبة والبردة[٤٤] والطيلسان[٤٥]ولذلك كان يطلق على تلك الفئة (أرباب الطيالس)[٤٦].

وكان المشرف على مقياس النيل[٤٧] في العصر الفاطمي يخلع عليه في مناسبة فتح الخليج بطيلسان مقور تشريفاً له، ويبدو أنهم يمنحونه الطيلسان بسبب انتمائه إلى وظيفة قضائية [٤٨].

ويلبس رؤساء السفن الشقق الدمياطي والعمائم الحريرية والنواتية يرتدون الشقق الاسكندراني والكلوتات (الطواقي) على رؤوسهم[٤٩].

وكان التجار يرتدون ملابس شبيهة لما يرتديه الفقهاء ورجال الدين، فتتكون ملابسهم من ثياب واسعة وعمائم مدورة وطيالس سابلة[٥٠]. أما أرباب الصناعات والحرف فيرتدون غطاء الرأس الذي يعرف بالقلنسوةوالتي تصنع من الكتان أو الحرير[٥١] وأحيانا يرتدون العمائم، وكانوا يرتدون على أجسامهم السراويل والقمصان الواسعة الأكمام[٥٢].

ويلبس بعض أرباب الحرف ملابس تناسب طبيعة عملهم، فيلبس السقاءون سراويل ضيقة وقصيرة زرقاء اللون تكون ساترة لعوراتهم[٥٣] وتتناسب مع العمل الذي يحتم عليهم الخوض في المياه لملء القرب بالماء، وكان البناءون يلبسون السراويل الضيقة لستر عوراتهم أثناء صعودهم ونزولهم[٥٤]. بينما يرتدي العجان ثوباً بدون أكمام، ويربط عصابة على جبينه[٥٥].

وكان العامة يرتدون أحسن الملابس ويهتمون بجودتها بحيث تتميز باعتدال الأكمام والأطراف ومستوية الذيل[٥٦]، وكانوا يلبسون أقمشة مزينة بصور وطيور[٥٧]وتزين أكتافها بالأشرطة المزخرفة[٥٨].

وكان الناس يلبسون في الأعياد والمواسم والمناسبات الأسرية أجمل ماعندهم من ثياب، وقد يضطر الفقراء إلى تأجير الثياب في تلك المناسبات ويروي الشيزري أن الصباغين في أيام المواسم والأعياد كانوا يؤجرون ما عندهم من ثياب أحضرها أصحابها لصبغها، لمن يلبسها ويتزين بها، وكان المحتسب يتدخل لمنع هذا العمل[٥٩].

وفيما يخص أهل الذمة فقد جاءت أوقات فرض عليهم فيها ارتداء ملابس تميزهم عن غيرهم، ففي زمن الحاكم فرض عليهم ارتداء ملابس خاصة بهم، وأمرهم بوضع الزنانير في أوساطهم والصلبان في أعناقهم، ويبلغ طول الصليب ذراع ووزنه خمسة أرطال ويكون ظاهراً فوق الثياب[٦٠].

أما اليهود ففرض عليهم وضع علامة صفراء في عمائمهم ويعلقون أجراس في صدورهم حتى يتميزون عن أفراد الشعب وكذلك فرض عليهم ارتداء العمامة السوداء عند دخولهم الحمامات العامة(٦١).

وكانت الأناقة والبذخ شاهداً على ما كان عليه المجتمع الفاطمي من الرقي، والملابس تختلف في قيمتها على حسب درجة التي تلبسها من النساء، وأن كان يطلق على الزي النسائي بصفة عامة (حُلة) بمعنى ملابس كاملة مطرزة إما بالذهب أو الحرير(٦٢).

وفي مقدمة النساء تأتي زوجة الخليفة، وتسمى الجهة العالية وهي أهم من في القصر من النساء، ترتدي حلة مذهبة يصل عدد قطعها إلى خمس عشرة قطعة، وتتكون من أربع قطع تلبس على شكل معين بحيث تغطي الرأس ويتدلى طرف أحد القطع حتى تصل إلى الأرض من جهة الظهر(٦٣) وتتكون الملابس من ثوب واسع بالذهب (حُلة مذهبة) برسوم، وله ذيل طويل، ورداءين قصيرين (نصف) من الحرير، وقميص (دراعة) موشح له ذيل مطرز بالذهب، وثوب قصير من قماش مزركش (دبيقي) بالحرير، ربما يلبس على القميص وشقة من قماش مزركش أيضاً، ولكن من غير طراز (رقم)، وملاءة واسعة لتغطية كل تلك الثياب(٦٤).

بينما باقي ملابس نساء القصر تقل مكوناتها تبعا لمكانتها في البلاط الفاطمي وتتراوح بين حُلة حرير وحُلة مذهبة وهي ما ترتديه المستخدمات(٦٥).

وهناك ملابس خاصة بالجواري والراقصات الهدف منها إبراز مفاتنهن ليكن متعة للناظرين، فترتدي المغنية والعازفة ثوباً طويلاً واسع الأكمام ومزين بزخارف، وفوق رأسها عصابة تشبه العمامة(٦٦)، بينما ترتدي الراقصة ثياباً واسعة الأكمام وسراويل واسعة وتضع على كتفيها شال ومن المحتمل أن تضع أسفل الرداء مشدات لإبراز مفاتن جسدها(٦٧)، وأحيانا كانت الراقصة ترتدي ملابس شبه عارية(٦٨).

وكان يكتب الشعر الرقيق الذي ينظمه شعراء ذلك العصر على ملابس الجواري، وخاصة ما يضعنه على رؤوسهن من عصائب، ومن ذلك ما كتبه أحد الشعراء على قطعة من ملابس جارية(٦٩):

رقـتـي فوق رقـة الأبشـار سـحـر لأعيـن النـظـار
من رآني رأى لهيبا وماء وعجيب لقاء ماء ونـار

وقد تعددت ملابس النساء في تلك الحقبة واختلفت أشكلها وألوانها فكانت النساء تغطي رؤوسهن بطرق وإشكال متعددة، واختلفت قيمة ثياب كل امرأة حسب حالتها المادية والاجتماعية فكانت نوعية القماش والخامات المستخدمة فيه وطريقة تطريزه من لؤلؤ وأحجار تبين المرأة الثرية من غيرها(٧٠).

حيث تعددت أنواع غطاء الرأس عند المرأة فمنه العصابة، وهي عبارة عن شال أو قطعة من القماش مثلثة الشكل تلفها المرأة حول رأسها وتترك طرفيها للخلف، وكانت العصابة أما ملونة أو مطرزة بخيوط مذهبة(٧١)وتراوح سعر العصابة بين أربعة وخمسة دنانير(٧٢).

وقد غطت المرأة رأسها في أحيان أخرى بالعمامة وهي قطعة من القماش تلف حول جزء من الإزار الذي كان يغطي شعر المرأة ويستخدم معها العرضة(٧٣)، وكان سعرها حسب نوع القماش المصنوع منها وسعرها بين دينار وخمسة دنانير(٧٤).

واستخدمت المرأة في تغطية رأسها الطاقية وهي كلوته صغيرة تلبس تحت العمامة، وسعرها يتراوح بين دينار ودينارين(٧٥)، واستخدم احد أغطية الرأس وهو صغير يسمى بخنق وهو خرقة تضعها المرأة على رأسها وتخيط معها خرقة على جبهتها، وكان سعره رخيصاً حوالي نصف دينار(٧٦).

إما الكوفية فكانت المرأة تلبسها أحياناً فتعقد من الجانب ويتدلى طرفيها على الظهر أو على الكتفين أو تغطى الرأس وتلف حول الوجه وتغطي الصدر، وغطت المرأة رأسها بالخمار وتلفه حول عنقها ووصل سعره لنصف دينار، أما المنديل فكان يستعمل شالاً للعمامة واستخدم كحزام، وكان يزين بشريط مزخرف مع جانبه ويزين كذلك بالريش وكان سعره عالياً(٧٧).

أما الحجاب فهو مثل القناع أو التقنيعة وهو قطعة من القماش تضعها المرأة على رأسها، وتلف بها وجهها ويثبت تحت الإزار، وتصنع من القماش الخفيف، أو ترتدي النقاب وهو يغطي الوجه وله فتحتان للعينين(٧٨).

وفي المنزل كانت المرأة تلبس ما يكشف عن جمالها مثل الغلالة وكانت تحرص العرائس على اقتنائه ضمن الجهاز(٧٩)وهي الثياب الشفافة التي تكشف عن مفاتنها وكان سعر الغلالة في العصر الفاطمي يتراوح بين سبعة دنانير وعشرين ديناراً، وفي النوم تستخدم المرأة الملحفة وهي أشبه بقميص النوم(٨٠).

وكانت المرأة ترتدي فوق ثيابها ملاءة واسعة لإخفاء جسدها وستر عوراته وإخفاء مفاتنها وكانت تحتوي هذه الملاءة على رسوم عبارة عن مربعات ملونة[٨١]، ومطرزة بخيوط فضفاضة مذهبة والبعض منها مطرزة على شكل أعمدة أو خطوط، ووضعت المرأة النقاب لإخفاء وجهها خارج دارها[٨٢]، وكانت تلبس المرأة ثوباً إما طويل أو قصير[٨٣]، وكان شكل رقبة ثوب النساء على شكل رقم سبعة[٨٤].

وكانت المرأة التي تأتي بمولود لها مراسم احتفال خاصة بعد ولادتها فتقوم بارتداء أجمل وأبهى ثيابها وتطوف في موكب كبير من النساء أنحاء المنزل ويتم تجديد فرش المنزل[٨٥]، وكانت الشاة التي تذبح للعقيقة تزّين بالملابس المزركشة وتذبح أمام الطفل[٨٦]، وكان السرير الذي ينام عليه الطفل مزوّد بالمخاد والفرش[٨٧].

أما ما يخص نساء أهل الذمة فقد فرض عليهن ارتداء ملابس تميزهن عن بقية النساء وخصوصاً في فترات الاضطرابات الدينية ففرض على المسيحيات لبس آزار[٨٨] لونه ازرق واليهوديات لونه اصفر ويضعن حزاماً أو زناراً ذو ألوان متعددة وزاهية، وفي الأوقات العادية كانت تلبس المرأة الذمية أفخر أنواع الملابس[٨٩].

وقد ساهمت صناعة النسيج في مناسبات الزواج من خلال ما تحتاج له المناسبة لجهاز العروس من ملابس وفرش السرير[٩٠].

وكانت ملابس العروس مختلفة وكانت توضع في صناديق كلٌ حسب نوعه. وكانت العروس تحضر نوعاً من الفرش والستائر الخاصة بالمنزل والتي تصنع من الأقمشة الرقيقة[٩١].

أما الجزء الكبير من جهاز العروس، فهو يشتمل على الأثاث المصنوع من القماش، والذي يتكون من لوازم السرير وفراشه من مراتب وأغطية ووسائد، هذا إلى جانب المساند والأبسطة والستور. وكان هناك نوع من المراتب يطلق عليه ترحه أو مترح وهو خاص بالطبقات الفقيرة والمتوسطة[٩٢]، وكانت المراتب الملونة من أقمشة فاخرة مثل قماش البوقلمون وغيره، وكانت هذه القطع غالية جداً.

أما أغطية الفرش، فهناك غطاء يسمى الديوان وهو من أغطية السرير من قماش الكتان، وكذلك اللحاف، الذي كان يصنع أيضاً من الكتان وتزيّن حوافه كما كانت تصنع بعض الأغطية من الصوف، ويستخدم نوع من الملاءات كغطاء سواء من الكتان أو الديباج، ويوجد

من الأغطية ما يسمى سرادق وهو على هيئة خيمة واسعة ذات سور عالٍ محيط بالسرير وتصنع من قماش الكتان(٩٣).

وكانت الفتيات الموسرات يحضرن في جهازهن غطاء سرير مفرش رومي يساوي سعره في المتوسط عشرة دنانير، وكذلك مخدة رومية، هذا بالإضافة للمساند التي توضع على المقاعد للجلوس، والتي كان يستعمل فيها أنواع مختلفة من الأقمشة، كما كانت الستائر والأبسطة تصنع من الصوف أو من الأقمشة الفاخرة التي تصنع في البهنسا وتكون جزءاً من جهاز العروس(٩٤). ولقد وجد بالقصر الفاطمي أنواع من الستور الحريرية المنسوجة بالذهب. ذات الألوان والأطوال المختلفة، ومنها أيضاً ستارة سندسي خضراء مذهبة، كما وجدت أنواع من البسط منها بساط خسرواني (٩٥).

وكان ثوب الزفاف يصنع من الأقمشة الفاخرة، ويُظن أن هذا الثوب كان يصنع من قماش الشرب(٩٦).

وكانت طبقة الخاصة تغالي في إعداد جهاز بناتها كنوع من المباهاه وإظهار النفوذ والثراء ، ففي جمادي الآخرة عام ٣٨١هـ /٩٩١م زفت أخت السيدة العزيزة وكان من ضمن جهازها ثلاثين بغلاً تحمل الملابس والتحف الثمينة(٩٧).

ومن أنواع الأزياء والأقمشة في عهد الفاطميين ما يلي(٩٨):

الأردية الدبيقية، والأغشية الحريرية، والبدل ومن أنواعها : بدلة حريري_ بدلة حريري بشدَّة الوقار(للخليفة)_ بدلة حريري خسرواني_ البدلة الحمراء المختصة بالنحر (للخليفة)_ بدلة خاصة جليلة مذهبة برسم الموكب_ بدلة خاص مذهبة كبيرة موكبية_ بدلة الخليفة الخاصة بفتح الخليج.

٢- الآثار الاقتصادية

أ) المكوس

كان للمكوس الأثر الكبير على النشاط الاقتصادي، حيث فرضت على مختلف المرافق مثل الآلات والسلع المنتجة.

وكان لتدهور الحالة الاقتصادية في مصر بسبب قصور النيل والشدة العظمى التي مرت بها في عهد المستنصر لهجرة الفلاحين للأرض[٩٩]، فاتخذت الدولة سياسة زيادة الضرائب غير المباشرة (المكوس) لتعويض نقص الخراج[١٠٠].

ففرضت الضرائب على منتجات المدن وقد بلغت الرسوم على فندق القطن ٢٠٠٠ دينار[١٠١]، وهو الذي يجتمع فيه تجار المنسوجات ولاسيما القطن الذي نسب إليه الذين يفدون من خارج مصر لاستيراد المنسوجات. وكذلك فرض ثمانين ديناراً على مكس دكة الديباج[١٠٢]، وهذه دلالة على ما كانت عليه تجارة النسيج في العصر الفاطمي من مكانة، وما لدخلها من أهمية كبيرة في اقتصاد الدولة الفاطمية.

وفرضت مكوس على مدينتي تنيس ودمياط والسبب أن هاتين المدينتين أكثر إنتاجا للمنسوجات في تلك الفترة عن غيرها ولأن البضائع كانت تصدر عن طريق تنيس وهي تعتبر ميناءً هاماً في تلك الفترة، وكان ممنوعاً على النساجين أن ينسجوا شيئاً إلا بعد ختم السلطان علية[١٠٣]. فبلغ رسوم ختم الشرب والدبيقي ألف وخمسمائة دينار[١٠٤]. فجمعت الدولة مبالغ كبيرة من تلك المكوس ويقول المقريزي أن متأخرات ثلاث سنوات لتنيس بلغت ألف ألف دينار(مليون) وألفي درهم[١٠٥].

وكان هناك مكوس على دور الحرير وعلى المتاجر والمصانع والمخازن والآلات التي وجدت في محال الغزل والنسيج[١٠٦].

وكانت تجبى مكوس من جميع الداخلين والخارجين إلى تنيس مما أدى إلى سوء أحوال الصناع في تنيس وأثر على صناعاتهم[١٠٧].

ب) السمسرة

ظهرت السمسرة كأسلوب من أساليب التعامل التجاري في الأسواق، ولاسيما بين تجار الأقمشة[١٠٨]، ومنهم ما ذكره المسبحي (ت٤٢٠هـ) عن اسمين لسماسرة أحدهم من تنيس يدعى منصور ابن أبي العلا التنيسي كان في أول أمره تاجراً في قماش الحرير ثم ((فتح (أصبح) سمساراً يجلب له متاع تنيس ودمياط))[١٠٩]، وهذا دلالة على أن السمسرة كانت أكثر ربحاً من التجارة في الحرير في تلك الفترة[١١٠]، وربما كانت السمسرة تأتي بالمال الوفير بأقل جهد وأسرع كسب.

وذكر المسبحي اسم أبي الجود البزاز، وكان متخصصاً في السمسرة على البضائع القادمة من بغداد[١١١]، وهذا دلالة على اتباع نظام التخصص في السمسرة[١١٢].

الهوامش والمصادر

(١) ناصر خسرو، سفرنامة، تحقيق: يحي الخشاب، ط٣، (بيروت: دار الكتاب الجديد،١٩٨٣م)، ٩٢-٩٤.

(٢) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ١٠١-١٠٢.

(٣) ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جَلَب راغب (ت٦٧٧)، المنتقى من أخبار مصر، أنتقاه المقريزي، حققه: أيمن فؤاد سيد، (القاهرة:ا لمعهد الفرنسي للآثار الشرقية،١٩٨١م)، ١٢.

(٤) جروهمان، اودلف، أوراق البردي العربية، (القاهرة: دار الكتب المصرية،١٩٣٤-١٩٧٤م)، ج٦، ١٤٠، ١٨٠.

(٥) ناصر خسرو، سفرنامة، ١٢١.

(٦) ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيْدُمُر العلائي (ت ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ٤-٥،(بيروت: الكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، د،ت)، ج٤، ٣٨.

(٧) القلقشندي، شهاب الدين أبو العبّاس أحمد علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩١٢-١٩٣٨م)، ج٣، ٣٤٣.

(٨) المصدر السابق، ج٣، ٣٤٣.

(٩) ابن عبدالحكم، فتوح مصر، ١٠١-١٠٢.

(١٠) ابن ميسر، المنتقى، ١٢.

(١١) ناصر خسرو، سفرنامة، ٦٣. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ٥٢٢.، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ /١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، وطبعة: (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د ت)، وطبعة: (دار التحرير عن طبعة بولاق، ١٢٧٠هـ)، ج١، ٤٠١-٤٠٢.

-الرفاءون: هم الذين يقومون بإصلاح الثياب. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ج١، ط٤، (بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٦هـ /٢٠٠٥م)، ٣٦-٣٧.

(١٢) ابن ميسر، المنتقى، ١٦٨.

(١٣) كيرة، نجوى محمود كمال، حياة العامة في العصر الفاطمي(٣٥٨-٥٦٧هـ /٩٦٩-١١٧١م)، (القاهرة: مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠٤م)، ٣٥٨.

(١٤) جروهمان، اوراق البردي، ج٥، ٧٠-٧١.

(١٥) نجوى كيرة، حياة العامة، ٣٥٩.

(١٦) الشيزري(عبدالرحمن بن نصر)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: السيد الباز العريني، (القاهرة: د ن، ١٩٤٦م)، ٦٧،سلطان، عبدالمنعم، الأسواق في العصر الفاطمي: دراسة وثائقية للفترة(٣٥٨-٥٦٧هـ)، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧م)، ٢٨٢. نجوى كيرة، حياة العامة، ٣٥٩.

(١٧) عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٣٤٣.

(١٨) الشيزري، نهاية الرتبة،٧٢.

(١٩) عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ج٢، ٥٠.

(٢٠) المقريزي، الخطط،ج١، ٤١٠.

(٢١) المقريزي، اتعاظ الحنفا ج١، ٤١٠. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ج٢، ٥٢-٥٣.

(٢٢) القلقشندي، شهاب الدين أبو العبّاس أحمد علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الانشا، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩١٢-١٩٣٨م)، ج٣، ٥١١. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٢٧٦.

(٢٣) جروهمان، أوراق البردي، ج٦، ٩٤-٩٥. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٢٩١.

(٢٤) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج١، ٢٩٣.

(٢٥) الأنطاكي (يحيى بن سعيد)، تاريخ الأنطاكي، ج٢، (د م: د ن، ١٩٢٣م)، ٢٠٥، المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ١٠١.

(٢٦) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ٥٨.

(٢٧) المقريزي، الخطط، ج٢، ٤١٣.

(٢٨) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ٥١٨.

(٢٩) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ١٤٤، ١٥٠.

(٣٠) المقريزي، الخطط، ج١، ٤٤٠، ٤٧٣.

(٣١) ذكر بعض المؤرخين عند وصفهم لخلع الوزراء الجبة بدل الدراعة وهما يحملان نفس المعنى تقريباً. أبوشامة (شهاب الدين أبي محمد عبدالرحمن بن إسماعيل)، الروضتين في أخبار الدولتين،ج١، (بيروت، د ن، د ت) ،ج١، ق٢، ٤٣٩. السيوطي، حسن المحاضرة، ج٢، ٢٠، ٢١. اتعاظ الحنفاء، ج٣، ٣٠٨.

(٣٢) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٣، ٤٨٥-٤٨٦.

-أصحاب الأقلام: يقصد بهم طبقة الموظفين من غير أرباب السيوف في الدولة الفاطمية، وكان على رأسها الوزير في العصر الفاطمي الأول. القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ٥٢٢. المقريزي، الخطط، ج١، ٤٦٩. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٣٣١.

(٣٣) المقريزي، الخطط، ج١، ٤٤٠. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٢٧٩.

(٣٤) عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٢٧٩.

(٣٥) المقريزي، الخطط، ج١، ٤٤٠. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٢٧٩.

(٣٦) عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٢٨٠.

(٣٧) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٣، ٤٧٧. المقريزي، الخطط، ج١، ٤١١.

(٣٨) ناصر خسرو، سفرنامة، ٩٦. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٢٨٠

(٣٩) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٣، ٥٦.

(٤٠) ابن سعيد، النجوم الزاهرة، ٥٨.

(٤١) المقريزي، الخطط، ج١، ٤٦٩.

(٤٢) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ١٥٠. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ١٨١.

(٤٣) المقريزي، المصدر السابق، ج٢، ٣١.

(٤٤) البردة: كساء يلتحف به مثل العباءة. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٢٩٣.

(٤٥) ابن جبير، الرحلة، ٢٤-٢٥.

(٤٦) المقريزي، الخطط، ج١، ٤٤١. عبدالمنعم سلطان، مرجع سابق، ج٢، ٦٢.

(٤٧) مقياس النيل: مبنى كان يستخدم لقياس ارتفاع وانخفاض ماء النيل، ويقال أن أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام. المقريزي، الخطط، ج١، ٩٢.

(٤٨) عبدالمنعم سلطان، مرجع سابق، ج٢، ٦٢.

(٤٩) المقريزي، الخطط، ج١، ٤٧٢.

(٥٠) المقريزي، إغاثة الأمة، ٢٦. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٢٨٣.

(٥١) الشيزري، نهاية الرتبة، ٦٨.

(٥٢) ناصر خسرو، سفرنامة، ٥٤. زكي حسن، الفن الإسلامي، ٥٩، ٦٣.

(٥٣) المقريزي، الخطط، ج١، ٤٦٤.

(٥٤) ابن الأخوة (محمد بن أحمد القرشي)، معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق: محمد محمود شعبان، صديق أحمد المطيعي، (القاهرة: هيئة الكتاب، ١٩٧٦م)، ٣٤٣.

(٥٥) الشيزري، نهاية الرتبة، ٢٥. ابن سيدة، المخصص، ج١٣، ١٦.

(٥٦) الشيزري، المصدر السابق، ٦٧.

(٥٧) ابن الأخوة، معالم القربة، ١٦٣.

(٥٨) عبدالرؤوف يوسف، الرسوم الآدمية، مجلة المجلة، ع٢١، سبتمبر١٩٥٨م، ص٧٩. زكي حسن، الفن الإسلامي، ١٦١.

(٥٩) الشيزري، نهاية الرتبة، ٧٢.

(٦٠) الأنطاكي، تاريخه، ١٩٥.المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج٢، ٥٣، ٩٤.

(٦١) الأنطاكي، المصدر السابق، ج٢، ١٩٥. المقريزي، المصدر السابق، ج٢، ٩٤.

(٦٢) عبدالمنعم سلطان، مرجع سابق، ج٢، ٥٦.

(٦٣) المقريزي، الخطط، ج١، ٤١٠. عبدالمنعم سلطان، مرجع سابق، ج٢، ٥٦.

(٦٤) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ٤١٠-٤١١. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٢٨٢.

(٦٥) المقريزي، المصدر السابق، ج١، ٤١١. عبدالمنعم سلطان، المرجع السابق، ٢٨٢.

(٦٦) سيد محمد خليفة، دليل متحف الفن الإسلامي، (القاهرة: د ن، ١٩٥٢م)،٨٦.

(٦٧) المرجع السابق، ١٦٠.عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ٢٨٢.

(٦٨) سيد خليفة، المرجع السابق، ٧٣. عبدالمنعم سلطان، المرجع السابق، ٢٨٢.

(٦٩) عبدالمنعم سلطان، المرجع السابق، ٢٨٢.

(٧٠) نجوى كيرة، حياة العامة، ٣٦٠.

(٧١) ناريمان عبدالكريم، مرجع سابق، ١١٦.

(٧٢) المرجع السابق، ١١٧.

(٧٣) العرضة: هي قطعة من النسيج تلف حول العمامة وسعرها حسب نوع القماش المصنوع منها. نجوى كيرة، حياة العامة، ٣٦٠.

(٧٤) ناريمان عبدالكريم، مرجع سابق، ١١٧

(٧٥) المرجع السابق، ١١٨.

(٧٦)المرجع السابق، ١١٩.

(٧٧) نجوى كيرة، حياة العامة، ٣٦١.

(٧٨) نجوى كيرة، المرجع السابق، ١٢٥.

(٧٩) المقريزي، الخطط، ج١، ٤١٠.

(٨٠) نجوى كيرة، حياة العامة، ٣٦٢.

(٨١) ناريمان عبدالكريم، مرجع سابق، ١٢٣.

(٨٢) الشيزري، نهاية الرتبة، ١٠٨.

(٨٣) هبة الله محمد فتحي، الفنون الشعبية في مصر الإسلامية، رسالة ماجستير، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٩٧م، ٦٤.

(٨٤)عبدالمنعم سلطان، مرجع سابق، ج٢، ٥٧.

(٨٥) ابن الحاج، المدخل،ج٣، ٢٩٠-٢٩١. نجوى كيرة، حياة العامة،٢٧٣.

(٨٦) جمال الشيال، مجموعة الوثائق، ١٢٨.

(٨٧) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج١، ٢٨١.

(٨٨) الآزار: هو عبارة عن رداء واسع. نجوى كيرة، حياة العامة، ٣٦٢.

(٨٩) ابن الأخوة، معالم القربة ، ٤٣.

(٩٠) نريمان عبدالكريم أحمد، مرجع سابق، ١٣٠.

(٩١) المرجع السابق، ١٣٠-١٣١.

(٩٢) المقريزي، الخطط، ج١، ٤١٦. عبدالمنعم سلطان، مرجع سابق، ج٢، ٢٠.

(٩٣) نريمان عبدالكريم أحمد، مرجع سابق، ١٣٢.

(٩٤) نريمان عبدالكريم أحمد، مرجع سابق، ١٣٢.

(٩٥) المقريزي، الخطط، ج١، ٤١٧.

(٩٦) نريمان عبدالكريم، مرجع سابق، ١٣٧-١٣٨.

(٩٧) المقريزي، اتعاظ الحنقا، ج١، ٢٧١. عبدالمنعم سلطان، المجتمع المصري، ١٩١.

(٩٨) ابن المأمون، نصوص من أخبار مصر، ١٥١-١٥٥.

(٩٩) المقريزي، إغاثة الأمة، ٢١-٢٣.

(١٠٠) المقريزي، الخطط، ج١، ١٧٤-١٧٥.

(١٠١) المصدر السابق، ج١، ١٧٤-١٧٥.

(١٠٢) المصدر السابق، ج١، ١٧٤-١٧٥.

(١٠٣) المقدسي، أحسن التقاسيم، ٢١٣.

(١٠٤) المقريزي، الخطط، ج١، ١٠٥.

(١٠٥) المصدر السابق، ج١، ١٨١.

(١٠٦) المصدر السابق، ج١، ١٠٥. نجوى كيرة، حياة العامة، ١٧٢-١٧٣. راشد البراوي، مرجع سابق، ٣٤٣.

(١٠٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ١٥٣.

(١٠٨) نجوى كيرة، حياة العامة، ٢١٠.

(١٠٩) المسبحي، أخبار مصر، ٢٢٦.

(١١٠) نجوى كيرة، حياة العامة، ٢١٠.

(١١١) المسبحي، أخبار مصر، ٢٢٦.

(١١٢) نجوى كيرة، حياة العامة، ٢١٠